THI QAR ARTS JOURNAL
TQARTJ | SPECIAL ISSUE 2025
عدد خاص بالمؤتمر الدولي الخامس لكلية الاداب - جامعة ذي قار

الذكاء الاصطناعي والرواية التفاعلية: تطوير وإبداع أم إرباك وتحديات

ا.د جمعة مصاص

جامعة خنشلة – الجزائر

messas.djemaa@univ-khenchela.dz

مقدمة

إنَّ تسارع وتيرة التطور الذي مس جميع مناحي الحياة الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية إلى جانب مجال الاتصال والإعلام؛ كان له أثر كبير في تقريب المسافات حيث تولت الحاسبات الآلية والأقمار الصناعية والشبكات المعلوماتية الحديثة (الانترنيت) دورا رياديا مهما في نقل المعارف والمعلومات، وكل مواد الاتصال بشكل مباشر وسريع، فأصبح العالم بالتالي في ظل هذه التطورات قرية صغيرة، يمكن مشاركة أي حدث عالمي فيها صورة وصوتا لحظة وقوعه.

ثم سرعان ما تربع الذكاء الصناعي (AI) على عرش المعارف الانسانية والتطور في جميع مناحي الحياة الانسانية بشكل رهيب يتجاوز قدرات الانسان العقلية التفكيرية؛ فشهد الذكاء الاصطناعي تحولًا جديدًا في تاريخ العلاقة بين الأدب والتكنولوجيا في أيامنا هذه وغدت الخوارزميات وآلات التعلم قادرة على إنشاء أعمال أدبية بل وتحليلها، وحتى تخصيصها بناءً على تفضيلات المتلقين والقراء تنافس بها الأعمال الأدبية البشرية... كما يثير الذكاء الصناعي تساؤلات هامة حول مستقبل الإبداع الأدبي وحول تعريف المؤلف نفسه.

١- الأدب الرقمي التفاعلي: البدايات والآفاق

وقد راهنت الكثير من الفنون والآداب على التكنولوجيات الحديثة، واستغلت معطياتها في توسيع انتشارها، والزيادة في رواجها؛ فقد أتاحت الوسائط الاليكترونية المعاصرة مساحات فنية شاسعة للمتلقي، وسهلت عملية التواصل بين المبدع والمتلقي، وعجلت بظهور أدب جديد هو الأدب الرقمي الذي يتكون من " الصوت، والصورة، والنص، والحاسوب، والعلاقات التفاعلية المختلفة والمتنوعة، وقد يكون هذا الأدب شعرا أو قصة قصيرة، أو قصة قصيرة جدا، أو رواية أو مسرحية".[١]

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

وهو أدب متعدد الوسائط(الصوت، والصورة، والنص)، ويخضع لعلاقات تفاعلية مباشرة وغير مباشرة، بمعنى أن المبدع يدخل في علاقات تفاعلية حميمية مع المتلقي الرقمي أو الالكتروني أو الحاسوبي، بتبادل الملاحظات والانتقادات والتعليقات المختلفة يؤطر ذلك بيئة رقمية يتم فيها التفاعل بين المبدع والمتلقي.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف سيكون "مستقبل العرب في عالم متغير تهيمن عليه العولمة الثقافية من منظور موقع اللغة العربية من حيث ما تبدعه وتضيفه، "[٢] وما تجود به قرائحها من منتوج علمي أو أدبي أو فني جيد، فهذا هو التحدي الكبير..

٢- التفاعلية ومتطلبات الحداثة

تعد (التفاعلية) مفهوما تكامليا تهتم به العديد من التخصصات البحثية..فالتفاعلية ليست مصطلحا أدبيا جادت به الانترنيت ومتطلبات الحداثة بل هو نمط حياة ووسيلة للتعامل والتواصل مع مختلف الأحداث التي يحتك بها الفرد يوميا، وتطلق التفاعلية على "الدرجة التي يكون فيها للمشاركين في عملية الاتصال تأثير على أدوار الآخرين واستطاعتهم تبادلها، ويطلق على هذه الممارسة المتبادلة أو التفاعلية، وهي تفاعلية بمعنى أن هناك من سلسلة من الأفعال الاتصالية"[٣] بين المتشاركين في عملية التواصل ومن بين الوسائل التي تتيح خاصية التفاعل بين المستخدم والمرسل: الهاتف، التلفزيون التفاعلي، المؤثرات عن بعد والكمبيوتر الشخصي وغير ذلك من الوسائل الإعلامية التي يستخدمها الجمهور في تبادل المعلومات مع المرسل.

وقد كان لانخراط الكثير من الأدباء العرب خاصة الشباب منهم في الشبكة العنكبوتية أثرا ايجابيا في بروز أجناس أدبية جديدة تسعى لتواكب بها التجربة الغربية في هذا المجال؛ حيث حدث التزاوج بين الأدب والتكنولوجيا، وبدأت أمارات ما يحمله الأدب من لقاح التكنولوجيا في الظهور عليه، فطرأت بعض التغييرات على طبيعة العملية الإبداعية، وعلى عناصرها، واستمرت تلك التغييرات في التزايد إلى أن حانت لحظة المخاض، فتمخض الأدب عن جنس جديد، جمع بين الأدبية والإلكترونية، والبرمجة المعلوماتية وخلق مبدعا " في آن واحد: يبدع النص: أي ينقله من مرحلة الكمون الى التجلي النصي والعلاماتي، يضع التصور الذي سيكون عليه من خلال برنامج معين يجعله قابلا للرؤية والقراءة على الشاشة (الراقم) أنه (كاتب وزيادة) هذه الزيادة هي الجانب التقني." [٤]هو ما اصطُلح عليه في الأوساط الأدبية والنقدية الحديثة باسم "الأدب التفاعلي"، الذي يتجسد من خلال الرواية التفاعلية، ويُطلق عليها في المصطلح الأجنبيInteractive novel ، أوHyperfiction ، والمسرح التفاعليHyperdrama ، والشعر التفاعليHyperpoetry ، وسوى ذلك من الأجناس الأدبية الجديدة.[٥]

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

والأدب التفاعلي مصطلح فضفاض، يضم كما رأينا عددًا من الأجناس الأدبية التي تختلف فيما بينها اختلافًا كليًا، ولا تكاد تتفق إلا في كونها لا تتجلى لمتلقيها إلا إلكترونيًا، وهذا يعني بالضرورة أن مبدعها لا ينتجها إلا إلكترونيًا أيضًا، مما يستدعي أن يصبح المبدع متمكنًا من استخدام الحاسوب بمهارة، وفهم لغته، وبرامجه، وكل ما يتعلق به، حتى يتمكن من صياغة إبداعه دون أن يشعر بحواجز نفسية على الأقل بينه وبين الوسيط الذي ينقل عبره إبداعه إلى المتلقي، حتى إن كان يستعين بأكثر الحاسوبيين مهارة للقيام بذلك نيابة عنه.

إن امتلاك أدوات العصر سيؤدي إلى تمكن المبدع من أداء دوره الخلاق بشكل أفضل منه في حال عدم امتلاكه لها، إذ سيصبح قادرًا على التفكير بطريقة تتناسب مع العصر الذي يعيشه، وأن يبتكر طرقًا جديدة لتقديم إبداعه تتناسب أيضًا مع عصره، ومن شأن هذا أن يؤثر في الطريقة التي سيتلقى بها الجمهور نصه، وكيفية تفاعله معه.

فماذا إذا تدخل الذكاء لاصطناعي في هذا الأدب؟!

٣- الذكاء الاصطناعي والمتون السردية العربية: بين الإبداع والتحديات

شهدت السنوات الأخيرة تطورات هائلة في مجال الذكاء الاصطناعي(AI) ، حيث أصبح قادرًا على إنتاج نصوص أدبية وسردية تحاكي الأساليب البشرية إلى حد كبير. ومع انتشار تقنيات معالجة اللغة الطبيعية (NLP) والتعلم العميق، بدأ الذكاء الاصطناعي يلعب دورًا متزايدًا في تحليل وإنتاج المتون السردية، مما يثير تساؤلات حول تأثيره على الأدب العربي، وحدود الإبداع والتأليف في ظل هذه الثورة التكنولوجية.

أ- الذكاء الاصطناعي والإبداع الأدبي

تقوم أنظمة الذكاء الاصطناعي، مثل ChatGPT و Bard، بمعالجة كميات هائلة من النصوص لتوليد محتوى سردي متماسك. في العالم العربي، بدأت بعض التجارب في استخدام الذكاء الاصطناعي لإنتاج قصص قصيرة أو حتى روايات تجريبية. ومن أبرز التطبيقات في هذا المجال:

- **تحليل النصوص الأدبية** :حيث يمكن للذكاء الاصطناعي دراسة المتون السردية القديمة والحديثة، واستخلاص أنماط الكتابة وأسلوب السرد عند الأدباء الكبار.

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

- **إنتاج النصوص الجديدة** :يستطيع الذكاء الاصطناعي إنشاء قصص مبنية على عناصر سردية مستوحاة من التراث العربي أو مستلهمة من الأساليب الحديثة.
- **ترجمة الأدب العربي** :تلعب تقنيات الذكاء الاصطناعي دورًا مهمًا في نشر الأدب العربي عالميًا من خلال الترجمة الآلية المتطورة.

ب- التحديات التي يفرضها الذكاء الاصطناعي على السرد العربي

رغم الفرص التي يوفرها الذكاء الاصطناعي، إلا أنه يطرح العديد من الإشكاليات والتحديات، من أبرزها:

١. **إشكالية الإبداع والأصالة** :الذكاء الاصطناعي يعتمد على البيانات الموجودة مسبقًا، مما يعني أنه لا يستطيع الابتكار بشكل مستقل عن النصوص التي تدرب عليها. وهذا يطرح تساؤلات حول مدى قدرته على الإبداع الحقيقي مقارنة بالإنسان.

٢. **افتقاد البعد الثقافي العميق** :الأدب العربي يمتلك خصوصية ثقافية ودلالية عميقة تستند إلى تاريخه وتراثه ولغته الغنية، وهو ما قد يصعب على الذكاء الاصطناعي محاكاته بدقة.

٣. **حقوق الملكية الفكرية** :إذا كان الذكاء الاصطناعي قادرًا على توليد نصوص جديدة، فمن المسؤول قانونيًا عن هذه النصوص؟ وهل يمكن اعتبارها إبداعًا أدبيًا يُنسب إلى البشر أم إلى الخوارزميات؟

٤. **الانحياز اللغوي والمعرفي** :تعتمد نماذج الذكاء الاصطناعي على البيانات المتاحة لها، والتي قد تحتوي على تحيزات معينة، سواء في الأسلوب أو في اختيار الموضوعات.

٤- الذكاء الاصطناعي ومستقبل السرد العربي

لا يمكن إنكار أن الذكاء الاصطناعي سيؤثر بشكل كبير على المشهد السردي العربي. ومع ذلك، من المرجح أن يظل دوره مكملًا للمبدعين بدلًا من أن يحل محلهم، حيث يمكن أن يكون أداة مساعدة في تطوير الأفكار وتحرير النصوص، وتحليل الاتجاهات الأدبية.

ومن الممكن أن نشهد في المستقبل تعاونًا بين الكُتّاب العرب والذكاء الاصطناعي في إنتاج نصوص تفاعلية مثل القصص الرقمية التشاركية، أو الأدب التوليدي الذي يدمج بين قدرات الإنسان والإمكانات الحسابية للذكاء الاصطناعي.

٥- الذكاء الاصطناعي والرواية التفاعلية: ثورة في السرد الأدبي:

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

شهد الأدب تطورًا كبيرًا عبر العصور، بدءًا من الروايات التقليدية المكتوبة على الورق وصولًا إلى الأشكال الرقمية الحديثة. ومع ظهور الذكاء الاصطناعي(AI) ، بدأت الرواية التفاعلية تأخذ بُعدًا جديدًا، حيث أصبح القارئ مشاركًا في تشكيل الأحداث، مما يخلق تجربة قراءة فريدة من نوعها.

والرواية التفاعلية هي نوع من السرد الأدبي حيث يمتلك القارئ دورًا فعالًا في توجيه القصة عبر خياراته وقراراته. وتستفيد هذه الروايات من التكنولوجيا الرقمية والبرمجة لإنشاء نصوص متغيرة وفقًا لاختيارات المستخدم، مما يجعل كل قراءة مختلفة عن الأخرى.

أ-دور الذكاء الاصطناعي في تطوير الرواية التفاعلية

1.توليد النصوص ديناميكيًا

يساهم الذكاء الاصطناعي، وخاصة تقنيات معالجة اللغة الطبيعية(NLP) ، في توليد نصوص جديدة تتكيف مع قرارات القارئ، مما يخلق تجربة غير متكررة. على سبيل المثال، يمكن لأنظمة مثل ChatGPT إنتاج قصص تتغير بناءً على مدخلات المستخدم.

2.تحليل تفضيلات القارئ

يمكن للذكاء الاصطناعي تحليل سلوكيات المستخدم وتفضيلاته لتقديم مسارات سردية تتناسب مع اهتماماته مما يجعل القصة أكثر جذبًا وشخصنة.

3.دمج العناصر السمعية والبصرية

تتيح تقنيات الذكاء الاصطناعي دمج المؤثرات الصوتية والمرئية بطريقة تتفاعل مع قرارات القارئ، مما يعزز من انغماس القارئ في العالم القصصي.

4.تحسين تجربة المستخدم

باستخدام التعلم الآلي، يمكن تحسين استجابة الرواية لتكون أكثر منطقية واتساقًا، مما يجعل التفاعل أكثر سلاسة وطبيعية.

ب-أمثلة على الروايات التفاعلية المدعومة بالذكاء الاصطناعي

- **"AI Dungeon"**:لعبة سردية تعتمد على الذكاء الاصطناعي لإنشاء عوالم وقصص غير محدودة بناءً على مدخلات المستخدم.
- **"Black Mirror: Bandersnatch"**:تجربة سردية تفاعلية علىNetflix ، حيث يختار المشاهد مسار القصة مما يؤدي إلى نهايات مختلفة.

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

- **روايات تفاعلية على تطبيقات مثل "Choices" و "Episode"**التي تعتمد على الذكاء الاصطناعي لتحليل تفضيلات القراء وتقديم تجارب أكثر تخصيصًا.

ج-تحديات استخدام الذكاء الاصطناعي في الرواية التفاعلية

1.الجودة السردية

رغم تقدم الذكاء الاصطناعي، لا يزال من الصعب تحقيق تعقيد ورقي السرد الأدبي الذي يتميز به الكتّاب البشريون.

2.التكرار والابتذال

قد يؤدي الاعتماد على الذكاء الاصطناعي إلى تكرار الأنماط السردية أو إنتاج حوارات غير طبيعية أحيانًا.

3.القضايا الأخلاقية

هناك تحديات متعلقة بحقوق التأليف والملكية الفكرية عند استخدام الذكاء الاصطناعي في إنشاء المحتوى الأدبي.

٦-مستقبل الرواية التفاعلية والذكاء الاصطناعي

"الرواية التفاعلية" هي ذلك الجنس الأدبي الجديد، الذي تولد في رحم التكنولوجيا المعاصرة، وتغذى بأفكارها ورؤاها، محققًا مقولة "إن الأدب مرآة عصره". ويستخدم الروائي المتصدي لتأليف "رواية تفاعلية" برنامجًا خاصًا يسمى "المسرد Storyspace" ليبني أحداث روايته عليه.

وليس المسرد هو البرنامج الوحيد الموجود لكتابة هذا الجنس الجديد، بل يوجد غيره الكثير، مثل الروائي الجديد newnovelist، الموجود أيضًا على شبكة الإنترنت من خلال موقع الشركة المصنعة [٦].

ويمكن تعريف "الرواية التفاعلية" بأنها: ذلك النمط من الروايات، التي يقوم فيها المؤلف بتوظيف الخصائص التي تتيحها تقنية النص المتفرع، والتي تسمح بالربط بين النصوص سواء أكانت نصا كتابيًا، أم صورًا ثابتة أو متحركة، أم أصواتًا حية أو موسيقية، أم أشكالا جرافيكية متحركة، أم خرائط، أم رسومًا توضيحية، أم جداول، أم غير ذلك، باستخدام وصلات تكون دائمًا باللون الأزرق، وتقود إلى ما يمكن اعتباره هوامش على متن، أو إلى ما يرتبط بالموضوع نفسه، أو ما يمكن أن يقدم إضاءة أو إضافة لفهم النص بالاعتماد على تلك الوصلات.[٧]

وتعتمد "الرواية التفاعلية" على كسر النمط الخطي الذي كان سائدًا مع الرواية التقليدية، أي الرواية المقدمة على وسيط ورقي، يلتزم فيه المبدع خط سير واضحًا غالبًا، يتبعه فيه القارئ الذي لا يحاول مخالفة هذا الخط، وإلا خرج من الرواية دون نتيجة، ودون أن يفهم منها شيئًا، وما ذلك إلا لأن بنية الرواية كانت تفرض عليه طريقة محددة في قطف ثمرتها، وحين خالف تلك الطريقة، خرج من الرواية دون ثمر.

وهذه الرواية، وإن كانت تعتمد في كتابتها وتأليفها على برامج إلكترونية لا علاقة مباشرة لها بشبكة الإنترنت

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

العالمية، إلا أن كيانها لا يقوم بعيدًا عن هذه الشبكة، فبمجرد أن ينهي المبدع روايته يلقي بها في أحد المواقع الإلكترونية التي تساعده على تقديمها لعدد لا يُحصى من المتلقين الذين يختلفون في أعمارهم، واهتماماتهم، ووظائفهم، ومستوياتهم الاجتماعية والأكاديمية، والنفسية، و.. إلخ، مما سيؤثر في طريقة تلقي كل منهم للنص الروائي المقدم لهم جميعًا، ومن ثم سيؤثر في طريقة تفاعل كل منهم مع ذلك النص، لذلك يمكن إطلاق صفة الإنترنتية، تجاوزًا، على هذه الرواية، لأن شبكة الإنترنت العالمية هي الوسيلة الوحيدة لإيصالها إلى القراء، والتي تتيح لهم هذه الصفة التفاعلية المفترض وجودها في هذه الرواية حتى تكون "تفاعلية".

ومع تطور الذكاء الاصطناعي، يمكن أن نشهد تحولات جديدة في السرد التفاعلي، مثل الروايات التي تستخدم تقنيات الواقع الافتراضي (VR) والواقع المعزز (AR) لجعل القارئ جزءًا من القصة. كما قد تصبح الروايات التفاعلية أكثر تعقيدًا وواقعية، مما يفتح آفاقًا جديدة للأدب الرقمي.

٧- الرواية التفاعلية العربية: الواقع والآفاق

ظهرت "الرواية التفاعلية" في أحضان الأدب الغربي، الذي كان مهيأ منذ البداية لاستقبال هذا المولود الجديد، نتيجة ما تراكم في ذاكرته الأدبية والثقافية من نظريات أدبية ونقدية ورؤى ثقافية وخبرات تكنولوجية، ساعدته على استقبال هذا الجنس الجديد، الذي تتراوح طبيعته ما بين الأدبية والإلكترونية، دون أن يجد في نفسه رهبة منه، أو أن يستشعر إحساسًا بالنفور منه، لأن تزاوج الأدب بالتكنولوجيا أمر ممكن الحدوث عنده.

ولأن السياق لا يتسع لتتبع تاريخ "الرواية التفاعلية" في الأدب الغربي، سأكتفي بالإشارة إلى أهم ما يجب ذكره في هذه العجالة، قبل البدء بالحديث عن موقع هذا الجنس الجديد في المشهد الأدبي العربي الحديث، وما تحفّه من آمال وطموحات.

أصدر ميشيل جويس Michael Joyce أول "رواية تفاعلية" في العالم، اسمها "الظهيرة، قصة Afternoon, a " story، وذلك في عام ١٩٨٦، مستخدمًا البرنامج الذي وضعه بمعية جي. بولتر J. Bolter في عام ١٩٨٤ وأسمياه المسرد Story space، وهو برنامج خاص لكتابة النص المتفرع، الذي يعدّ عماد الكتابة الإلكترونية، والذي لا تمكن كتابة "الرواية التفاعلية" دون استثمار معطياته، غالبًا، ثم ظهرت بعد ذلك برامج أخرى كبرنامج "الروائي الجديد" الذي سبقت الإشارة إليه.

ثم توالت بعد ذلك الروايات التفاعلية في الأدب الغربي، دون أن تغفل عامل التطور الفني الذي يتبع التطور الزمني،

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

وقد تحقق ذلك باستثمار كل ما يستجد على الساحة التكنولوجية في خدمة الإنتاج الأدبي الإلكتروني الجديد.

هذا باختصار ما يمكن أن يُقال قبل الدخول في تفاصيل المشهد الأدبي العربي، وبيان طبيعة العلاقة بين الأدب والذكاء الاصطناعي، وهل نجح الأدباء العرب في استثمار معطيات التكنولوجيا الحديثة في إبداعهم الأدبي، أو أنهم لا يزالون عاكفين على استخدام الحبر والورق في كتاباتهم الإبداعية، واتّباع الطريقة الخطية التقليدية في سرد أحداث رواياتهم؟ وهل يؤمنون بجدوى توظيف التكنولوجيا في تطوير مستوى الإبداع الأدبي، أو أنهم يرونها عائقًا يجعل الأدب في موطنه غريب الوجه واليد واللسان؟

ويبدو من إلقاء نظرة سريعة على موقع الأدب العربي من التكنولوجيا الحديثة أنه لم يخض غمارها بعد، ولم يبدأ الأدباء العرب بالممارسة الفعلية للأجناس الأدبية التي يتيحها تزاوج الأدب بالتكنولوجيا، ما عدا استثناء واحدًا.

هذا الاستثناء تمثله هذه الخطوة الصادرة عن الأديب العربي الأردني محمد سناجلة، الذي استطاع أن يوظّف التكنولوجيا الحديثة في أدبه، وأن يسبر غورها ويستخلص ما يمكن له أن يستفيد منها به من خلال جهد ذاتي محض، لم يستعن معه بأي معين خارجي.

قام سناجلة في عام ٢٠٠١ بكتابة رواية إلكترونية، يمكن أن نعدّها أول "رواية تفاعلية" عربية، أطلق عليها اسم "ظلال الواحد"، ونشرها على موقعه الخاص على الشبكة العالمية.

يقول سناجلة عن تجربته في الإبداع التفاعلي " في عام ٢٠٠١ انتهيت من كتابة روايتي 'ظلال الواحد' التي استخدمت في بنائها تقنية Links المستخدمة في بناء صفحات الويب، وقمت بنشرها رقميًا على شبكة الإنترنت على موقعي www.sanajlehshadows.8k.com: من غير مساعدة من أحد، وبعد ذلك بقليل قام روائي هندي بكتابة رواية أخرى باستخدام التقنيات الرقمية المستخدمة في بناء البريد الإلكتروني، ولست أدري إن كان هنالك آخرون غيرنا قد استخدموا تقنيات أخرى في الكتابة الروائية، ولكم أن تتخيلوا الصيغ والأشكال الأخرى التي لم تُستخدم بعد."[٨]

وقد علّق أحد النقاد على هذه التجربة الأدبية الإلكترونية الرائدة، والتي تعدّ سبقًا أدبيًا عربيًا قائلا: إن من "يقرأ روايته 'ظلال الواحد' يكتشف بسهولة أنه أول أديب عربي– وربما في العالم أيضًا– استطاع أن يجنّد تقنيات شبكة الإنترنت، ويخضعها لأفكاره الروائية، وكان مثل هذا الأمر يعد حلمًا من أحلام الروائيين أو الأدباء الذين بدأوا منذ سنوات يتعاملون مع الشبكة، وينشرون إنتاجهم الأدبي 'الخطي' نشرًا إلكترونيًا، ولكنه أقرب إلى النشر الورقي، من حيث عدم الاستفادة من تقنيات الشبكة وبنيتها، في إنتاج أدب عربي جديد، يستفيد من ثورة الوسائط المتعددة، ومن تقنيات النص المرجعي الفائق Hypertext".[٩]

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

ويعدّ سناجلة بحق، ودون تطرف أو مبالغة، أول روائي عربي يستخدم تقنية النص المتفرع وخاصية الروابط التي يتيحها لكتابة "رواية تفاعلية" تعتمد على عدم الخطية في سيرورة أحداثها، وبنائها القصصي، ولكنه ليس الأول على المستوى العالمي، فقد مرّ أن هذا الجنس معروف في الأدب العالمي منذ ظهور رواية "الظهيرة، قصة" للروائي ميشيل جويس في منتصف ثمانينيات القرن المنصرم.

والذي تجدر الإشارة إليه هو أن جهود هذا الروائي العربي المتميز لم تتوقف عند إصدار روايته الأولى، التي يعترف بأنها ليست إلا بداية، وأن أدواته بحاجة إلى كثير من التطوير، وذلك عن طريق تعلم أبجديات الحاسوب على نحو أكثر دقة وحرفية مما كان يعرفه حين كتب "ظلال الواحد"، بل امتدت جهوده إلى ما وراء الإبداع الأدبي، إذ خرج من حيز النص الإبداعي الروائي، واتجه نحو التنظير النقدي.

سعى محمد سناجلة إلى أن يعرّف القارئ العربي بمشروعه الذي بدأه من خلال روايته الأولى، فقام بوضع كتاب إلكتروني بعنوان "رواية الواقعية الرقمية"، حاول فيه تقديم الأساس النظري الذي يقوم عليه هذا الجنس الأدبي الجديد، الذي تنتمي إليه روايته، وذلك على امتداد أربعة فصول، قام بنشرها تباعًا على موقع Middle East Online ابتداء من تاريخ: ٢٠٠٤/٣/١٣، حتى تاريخ: ٢٠٠٤/٤/٦.

ومن الواضح أن هذا الكتاب جديد كل الجدة في موضوعه، وفي طرحه، وفي أفكاره، إذ يحاول به مؤلفه أن يضع لبنة جديدة في صرح الثقافة العربية بعامة، وفي صرح الأدب العربي بخاصة.[١٠]

ومما يلفت الانتباه أن سناجلة لا يستخدم مصطلح "الرواية التفاعلية"، بل يستخدم مصطلح "رواية الواقعية الرقمية"، الذي صاغه بنفسه، ليكون أول من يستخدمه حسب علمي عربيًا وعالميًا على مستويي الإبداع الأدبي والتنظير النقدي.

وهذا يستدعي التوقف عند المصطلحين، ومحاولة تبيّن مواطن الاتفاق ومواطن الاختلاف بينهما، كي نميّز أحدهما عن الآخر إن اتضح اختلافهما، أو كي ندمجهما ببعضهما إن ظهر اتفاقهما.

في حوار شخصي معه كشف الروائي محمد سناجلة عن رؤيته لما يقدمه الأدب الغربي من خلال الأدب التفاعلي، الذي يقوم على فكرة "التفاعل" الموجودة نظريًا وتطبيقيًا في جميع الآداب قبل الإنترنت وبعدها، مع تغير صور التفاعل وتطورها واستثمارها للمعطيات التكنولوجية المتاحة لها في الفضاء الإلكتروني.

كما كشف سناجلة عن رؤيته لما يقدمه هو إبداعًا ونقدًا من خلال مصطلح "أدب الواقعية الرقمية" عامة، أو "الرواية الواقعية الرقمية" على نحو خاص. إنه يقدم نمطًا روائيًا جديدًا، لا على مستوى البنية السردية فقط، أو الشكل، بل على مستوى المضمون أيضًا. إنه يقدم أدبًا يحاول التعبير عن المجتمع الرقمي، وبطله "الإنسان الافتراضي"،

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

ويحاول تتبع لحظات تحوله من كينونته الأولى، بوصفه إنسانًا واقعيًا، يعيش في مجتمع واقعي محدد المعالم، إلى كينونته الجديدة، بوصفه إنسانًا افتراضيًا، يعيش في الواقع الافتراضي. هذا هو الجديد والمختلف الذي يسعى سناجلة إلى تقديمه للعالم، وهذه هي، كما يرى سناجلة، إضافة الحضارة العربية القادرة على الفعل الأصيل إلى الحصيلة الإبداعية الأدبية والنقدية للعالم، وكما قدمت أمريكا اللاتينية إلى العالم "رواية الواقعية السحرية"، فإننا سنقدم لهذا العالم مفهومًا آخر جديدًا هو "رواية الواقعية الرقمية".[١١]

وقد خلخلت الرواية التفاعلية النمطية السائدة وذلك باستقطابها المهتمين بالحقل الأدبي المشتغلين بالفنون البصرية وتطبيقاتها التكنولوجية والأكاديميين في علوم الاتصال والإعلام والبرمجة وعزز ذلك انفتاحها

على كل الوسائل والبرامج المتاحة فنجدها تتقاطع في عرضها الدرامي بالمؤثرات الصوتية مع حركية الحروف والموسيقى و تحول اللغة إلى حزم من الكلمات الشاعرية المتموجة في فضاء شبكة الاتصال بتملصها من قيود الزمان والمكان.[١٢]

٨-الفرق بين الرواية التفاعلية ورواية الواقعية الرقمية

يجدر في هذا السياق التفريق بين مصطلحي "الرواية التفاعلية" و"رواية الواقعية الرقمية"، في محاولة لتأسيس هذين المصطلحين في الدراسة العربية الأدبية- التكنولوجية، كي يتبين القارئ العربي مستقبلا الفرق بين هذين النمطين من الروايات الإلكترونية، وأن يكون واعيًا لخصائص كل منهما، ومميزًا للاختلاف في طبيعتيهما.

إن "الرواية التفاعلية"، وكما سبق تعريفها قبل قليل، هي "ذلك النمط من الروايات، التي يقوم فيها المؤلف بتوظيف الخصائص التي تتيحها تقنية النص المتفرع، والتي تسمح بالربط بين النصوص سواء أكانت نصا كتابيًا، أم صورًا ثابتة أو متحركة، أم أصواتًا حية أو موسيقية، أم أشكالا جرافيكية متحركة، أم خرائط، أم رسومًا توضيحية، أم جداول، أم غير ذلك، باستخدام وصلات تكون دائمًا باللون الأزرق، وتقود إلى ما يمكن اعتباره هوامش على متن، أو إلى ما يرتبط بالموضوع نفسه، أو ما يمكن أن يقدم إضاءة أو إضافة لفهم النص بالاعتماد على تلك الوصلات."

أما "رواية الواقعية الرقمية"، وكما قدمها سناجلة في كتابه آنف الذكر، فهي "تلك الرواية التي تستخدم الأشكال الجديدة التي أنتجها العصر الرقمي، وتدخلها ضمن البنية السردية نفسها، لتعبر عن العصر الرقمي والمجتمع الذي أنتجه هذا العصر، وإنسان هذا العصر (الإنسان الافتراضي) الذي يعيش ضمن المجتمع الافتراضي. ورواية الواقعية الرقمية هي أيضا تلك الرواية التي تعبر عن التحولات التي ترافق الإنسان بانتقاله من الواقعية إلى الافتراضية، وهذا

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

مفهوم جديد، حسب علمي واطّلاعي، على الأدب العالمي، ويمكن أن يُعدّ مدرسة جديدة أو تيارًا جديدًا يتخذ له من الأدب العربي نقطة انطلاق نحو الآداب الأخرى، أي نحو العالمية."

وعلى ضوء هذا التمييز بين المصطلحين، يمكن تحديد مواطن الاتفاق والاختلاف بين هذين النمطين الروائيين، بالاستعانة بما ذكره محمد سناجلة عن ذلك، إذ قال إن الاتفاق بين الرواية التفاعلية ورواية الواقعية الرقمية يكمن في الشكل السردي، بمعنى أن كلتا الروايتين تستخدمان تقنية النص المتفرعHypertext ، والمؤثرات السمعية والبصرية المختلفة التي توفرها التكنولوجيا الحديثة.

أما الاختلاف بينهما فيقع في المضمون؛ فالموضوع في رواية الواقعية الرقمية يتناول المجتمع الرقمي الموجود في ذاكرة الإنسان الافتراضي، ويتشكل عبر شبكة الإنترنت، وبطل هذا المجتمع/الرواية هو الإنسان الافتراضي الذي يعيش في المجتمع الرقمي وفي شبكة العلاقات الافتراضية التي يبنيها، ومنظومة القيم الأخلاقية التي يتصرف من خلالها. كما تعالج هذه الرواية التغيرات التي طرأت على الإنسان الواقعي في مرحلة تحوله إلى الإنسان الافتراضي .[١٣]

ويمكن القول، في هذا الصدد، إنه إذا كان الغرب قد سبقنا في كتابة الأدب التفاعلي عامة، والرواية التفاعلية خاصة، فإننا نستطيع أن نقول، بعد تجربة "ظلال الواحد"، وبعد صدور الكتاب النقدي الرقمي "رواية الواقعية الرقمية" الذي نظّر فيه سناجلة لأدب الواقعية الرقمية، إننا قد استطعنا استثمار معطيات التكنولوجيا الحديثة في الإبداع الأدبي، وفي تأسيس تيار أدبي، يبدو حتى هذه اللحظة جديدًا، هو تيار "الواقعية الرقمية"، والذي تعدّ الرواية أبرز تجلياته حتى الآن، ولا بد لهذا التيار أن يستقطب المبدعين العرب في أنحاء الوطن العربي، وأن يستثير خيالاتهم، وأن يشعل فتيل الإبداع عندهم، بما يفتحه لهم من أبواب جديدة في فضاء الإبداع الأدبي شعرًا، ورواية، ومسرحية، وقصة.

والأدب التفاعلي مصطلح فضفاض، يضم كما رأينا عددًا من الأجناس الأدبية التي تختلف فيما بينها اختلافًا كليًا، ولا تكاد تتفق إلا في كونها لا تتجلى لمتلقيها إلا إلكترونيًا، وهذا يعني بالضرورة أن مبدعها لا ينتجها إلا إلكترونيًا أيضًا، مما يستدعي أن يصبح المبدع متمكنًا من استخدام الحاسوب بمهارة، وفهم لغته، وبرامجه، وكل ما يتعلق به، حتى يتمكن من صياغة إبداعه دون أن يشعر بحواجز نفسية على الأقل بينه وبين الوسيط الذي ينقل عبره إبداعه إلى المتلقي، حتى إن كان يستعين بأكثر الحاسوبيين مهارة للقيام بذلك نيابة عنه. إن امتلاك أدوات العصر سيؤدي إلى تمكن المبدع من أداء دوره الخلاق بشكل أفضل منه في حال عدم امتلاكه لها،

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

إذ سيصبح قادرًا على التفكير بطريقة تتناسب مع العصر الذي يعيشه، وأن يبتكر طرقًا جديدة لتقديم إبداعه تتناسب أيضًا مع عصره، ومن شأن هذا أن يؤثر في الطريقة التي سيتلقى بها الجمهور نصه، وكيفية تفاعله معه.

الخاتمة

يمثل الذكاء الاصطناعي ثورة في عالم الرواية التفاعلية، حيث يتيح للقارئ دورًا غير مسبوق في تشكيل الأحداث. ورغم التحديات التي تواجه هذا المجال، فإن التطورات المستمرة في تقنيات الذكاء الاصطناعي تعد بجيل جديد من السرد القصصي الأكثر إرباكا وتفاعلًا؛ ويمكننا القول أن الإبداع الأدبي يظل في جوهره تجربة إنسانية عميقة، ولكن لا يمكن إنكار التأثير المتزايد للذكاء الاصطناعي على السرد العربي. وبينما يواجه الأدب تحديات هذه الثورة الرقمية، يبقى السؤال الأهم: كيف يمكن للمبدعين العرب الاستفادة من هذه التقنيات دون فقدان أصالة وجماليات السرد الإنساني؟

---

[١] جميل حمداوي: الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق، ج١، المستوى النظري، ط١/ ٢٠١٦، شبكة الألوكة أو على موقع اتحاد كتاب الانترنيت العرب، على الموقع–http://www.arab ewriters.com/booksFiles/12.pdf

[٢] صالح بلعيد:هموم لغوية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، كلية الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولود معمري تيزي وزو، ٢٠١٢، ص ٣٥.

[٣] محمود علم الدين: تكنولوجيا المعلومات والاتصال ومستقبل صناعة الصحافة، ط١، دار السحاب للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص١٧٧.

[٤] سعيد يقطين: النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، نحو كتابة عربية رقمية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت ط١، ٢٠٠٨، ص١٩٩٩.

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE

[٥] حسام الخطيب، الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المتفرع، المكتب العربي لتنسيق الترجمة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٩٦، ص ٣٤.

[٦] أحمد فضل شبلول، الواقعية الرقمية: على جناح من السيليكون والفرحة، موقع ميدل إيست أونلاين، على الرابط التالي: http://195.224.230.11/culture/?id=22973

[٧] عبير سلامة، النص المتشعب ومستقبل الرواية، مقال في موقع إلكتروني على الرابط التالي :

(Newnovelist): http://www.newnovelist.com/?source=writersgoogle

[٨] (حوار شخصي مع الروائي محمد سناجلة، بتاريخ ٢٠٠٥/٥/٢٨.

هذه الرواية (Afternoon, a story) هي أول رواية تفاعلية، قام بتأليفها مستخدمًا برنامج (المسرد – Storyspace)، الذي وضعه هو بالتعاون مع(J. Botler) ، في مختبر الذكاء الاصطناعي التابع لجامعة (ييل – Yale

[٩] ينظر نبيل علي: العرب وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رقم ١٨٤، أفريل ١٩٩٤.

محمد سناجلة، رواية الواقعية الرقمية، كتاب إلكتروني، الفصل الأول: عن رواية الواقعية الرقمية، متوفر على الرابط التالي: http://www.middle-east-online.com/?id=22055=22055&format=[10]

[١١] المرجع نفسه.

[١٢] حسن عبد الغني الأسدي: المدونة الرقمية الشعرية (التفاعل/ المجال/التعالق) مكتبة الشعر التفاعلي الرقمي التفاعلي، العراق، ط٠، ٢٠٠٩، ص ٢٦.

[١٣] أحمد فضل شبلول، الواقعية الرقمية: على جناح من السيليكون والفرحة، موقع ميدل إيست أونلاين، على الرابط التالي-15 http://195.224.230.11/culture/?id=22973

THIS WORK IS LICENSED UNDER A CREATIVE COMMONS ATTRIBUTION 4.0 INTERNATIONAL LICENSE